شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

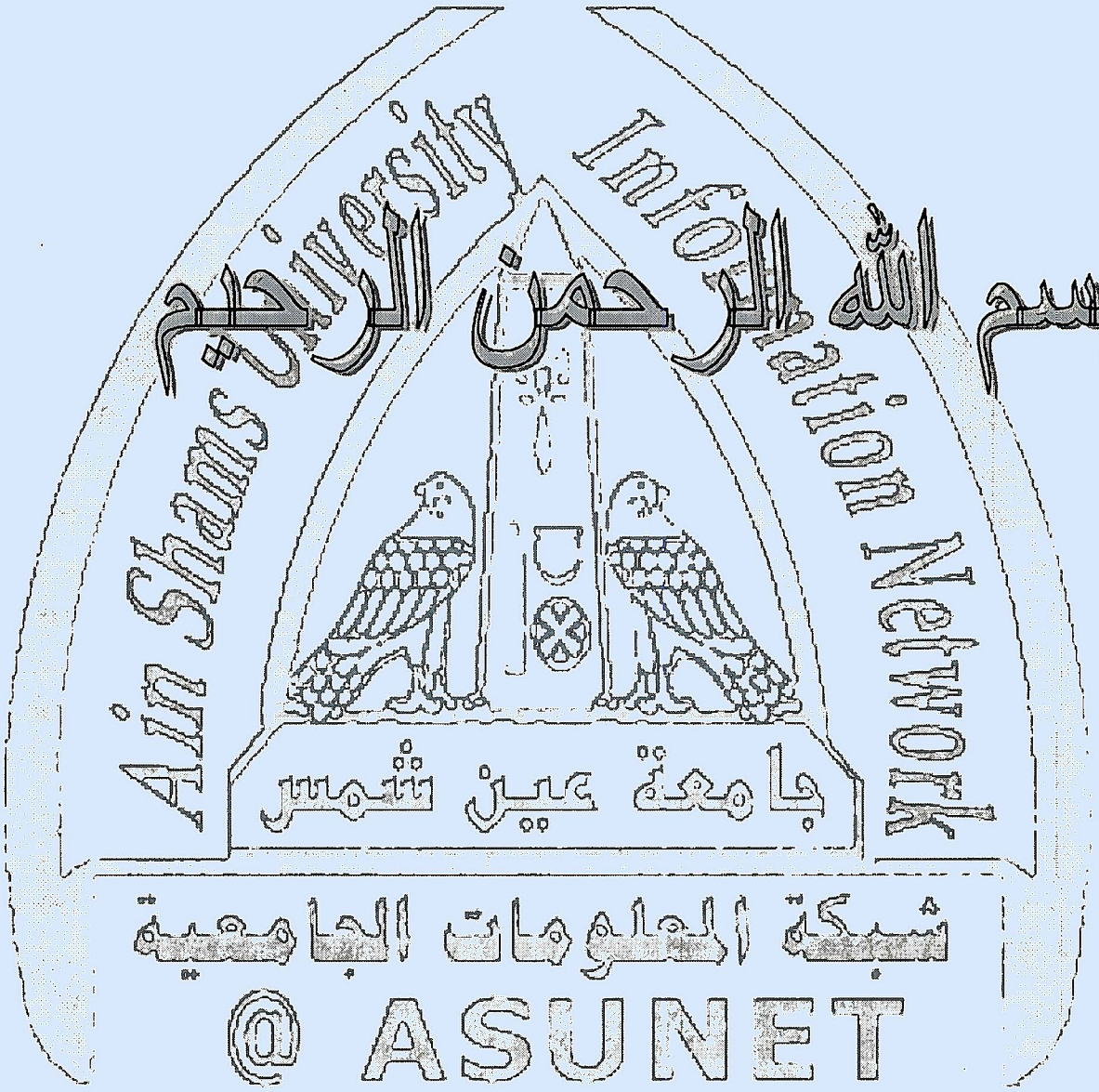

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيدا عن الغبار
في درجة حرارة من ١٥-٢٥ مئوية ورطوبة نسبية من ٢٠-٤٠%

To be Kept away from Dust in Dry Cool place of 15-25- c and relative humidity 20-40%

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بعض الوثائق الاصلية تالفة

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

جماليات التشكيل الفني في رواية الصحراء

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه
من الباحثة ميرال عبد الستار عبد الحميد الطحاوي
المدرس المساعد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة – فرع الفيوم

بإشراف:
الأستاذ الدكتور عبد المنعم تليمة

جَماليات التشكيل الفنّي في رواية الصَّحْراء

إهـــــداء

إلى أمي

وحدها حارسة أبواب الجنة المفقودة

الفصل الأول

المكانُ ودورُهُ في
إنتاجِ جَمَاليات النَّصّ

ظروف نشأة الرواية العربية وتطورها قد تكون ملتبسة أو تعددت فيها الأقوال، لكن ارتباطها بـ«المدينة» كمكان وعالم روائي قد يؤكد ما نحاول البحث فيه وهو دور المكان في إنتاج جماليات خاصة للنص.

كان افتراض أن المدينة والطبقة الوسطى وظروف تَشَكُّل الرواية والتصور «الجولدماني» لعلاقة الطبقة بإنتاج الرواية مدار أبحاث عديدة، وظلت مقولة محاكاة الرواية الأجنبية و الشروط التي أهلت لخلق الجنس الروائي في العالم العربي مناط بحث وأخذ ورد طويل [1].

كما أن تطور الرواية العربية اتخذ أيضاً مساراً يؤكد هذا الجدل، فالنصوص التي تراوحت ما بين نزعتين متضادتين، المسار الأول اتخذ من التراث ومقاربته ومحاولة استنهاض المتن الروائي من الموروث الرسمي والشعبي للسرد القديم لغة وبناء، كان يرافقه أيضا مسار آخر يرتبط بالأدب العالمي وحركة الترجمة والتجارب الإبداعية العالمية، ومدارسها وكبار كتّابها، وربما قاد هذا التنوع في النهاية إلى محاولة الاتكاء على العوالم الروائية الخاصة والمتجذّرة في الثقافة العربية ومعالجتها تقنيا ولغويا بشكل تجريبي يتسق مع حركة التطور الروائي العالمي، وربما كان ذلك بتحريض من تجربة أمريكا اللاتينية حيث حقّق المنجز الروائي اللاتيني خصوصيته بعيدا عن سياق الرواية الأوروبية، وفي الوقت نفسه شكّل تيارا للبحث في ممكنات الحكي والسرد عبر عوالم شديدة الخصوصية، تضيف إلى المنتج الإنساني الروائي، ولا تشاكله أو تقع في أسره.

كان هذا البحث عن عوالم روائية شديدة الالتصاق بالثقافة واللغة، وشديدة الخصوصية هو ما فتح الباب إلى الدراسات النقدية للاهتمام بالمكان خصوصاً «المكان الروائي»، من حيث كونه إحدى الجماليات بل أضلاع البنية الروائية، فالكثير من الدراسات اهتمت بالمدينة كموضوع لجماليات المكان، حتى أن أحد الباحثين يسلّم بأن الرواية كائن مديني، ويؤكد أن «القول بأن الرواية هي «كائن مديني» انتسابا إلى المدينة الضخمة، بديهة في نقد الرواية»[2]، وبرغم أن الربط الحصري والتسليم بأن الرواية ابنة المدينة في بحثه، ومحاولته في أطروحته الموازاة بين بنية المدينة وبنية الرواية في أعمال عدد كبير من كتّاب الستينيات، فإن ظروف نشأة الرواية لم تنف أنها تطورت في أنواع روائية أو عوالم روائية بمعزل عن المدينة، فاحتل الريف

---

(١) يراجع:

- محسن جاسم الموسوى، الرواية العربية.. النشأة والتحول، سنة ١٩٨٨م
- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الجديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٨م
- فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٩م.

(٢) حسين حمودة، الرواية والمدينة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ط ٢٠٠٠م، ص ١٩

عدداً من الدراسات النقدية[1]، ثم أصبحت دراسة جماليات المكان بمعزل عن العالم الروائي، فهل كان كتاب جاستون باشلار «جماليات المكان»، الذي ترجمه وقدمه غالب هلسا بقوله: «لقد قيل في تقييم هذا الكتاب إنه أحدث ثورة كوبرنيكية في علم الجمال، ومعروف أن كوبرنيكس هو الذي قد وضع لأول مرة في التاريخ الفرضية القائلة إن الأرض هي التي تدور حول الشمس لا العكس»[2].

وكتاب باشلار يطرح جماليات المكان المجردة، العش، البيت، النافذة..... إلخ، أو يطرح التصور الجمالي للمكان شعريا، ولا يتطرق بشكل مباشر إلى المكان بوصفه عالما ثقافيا، ومع ذلك فإن غالب هلسا يشير إلى «أننا نستطيع أن نقول بثقة إن لهذا الكتاب أهمية استثنائية، أما فيما يتعلق بارتباطه بقضايا جمالية وفنية مطروحة على الساحة العربية، فهو يحتاج إلى شيء من التفصيل... إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفتقد خصوصيته ومن ثَمَّ أصالته... إن الأدب يشق طريقه إلى العالمية ولكنه يفعل ذلك - وهذه مفارقة - عبر ملامح قومية بارزة وقوية، وإحداهما المكانية، أما الكوزموبوليتانى فهو الذي يفقد الخصوصية والأصالة»[3]، وتلك أيضا إحدى القضايا الشائكة في حياتنا النقدية، مثل نشأة الرواية، الأدب القومي والكوزموبوليتانى، فإن الرواية العربية في تطورها اكتشفت الكثير من الممكنات الجمالية الخاصة بها لغة وتراثاً، وكان التيار القومي يعمّق العوالم المتصلة بالكيانات الاجتماعية الهامشية، ما يدفع إلى خلق سردية جديدة في محاولة الرواية للاستجابة إلى التغيرات واحتواء التبدل، فـ«السرديات العربية بعد محفوظ لم تتجذر فحسب في التاريخ والحياة الاجتماعية والعامة للناس والبلدان ذلك لأنها تشتغل أيضا بوعي نافذ يلتقي غيره في الثقافات، ويتعاطى معها حواره تآلفا وتخالفا»[4] يحاول محسن جاسم الموسوى تقصّي المناحي التي اتجهت إليها الرواية العربية بعد محفوظ فيجدها متشعبة، وحتى تبدو عصية على التأطير في تيارات أو اتجاهات، فهو يمسك بتوجهات عبر قراءة نصوص مختارة ولايمسك بظواهر تشكل تيارات ليؤطرها، بينما روجر آلان يرصد التغير مُقِراً بما قاله فورستر إن الرواية «كتلة هائلة عديمة الشكل إلى حد بعيد، إنها بوضوح تلك المنطقة الأكثر رطوبة ونداوة في الأدب، حيث ترويها آلاف الجدوال وتنحط أحيانا لتصبح مستنقعاً آسنا»[5].

---

(١) انظر فتحي إبراهيم أبو العينين، الأدب والقيم الاجتماعية القروية، رسالة ماجستير، عين شمس، ١٩٧٦م.

(٢) جماليات المكان، جاستون باشلار، ت: غالب هلسا، بغداد، ١٩٨٠ م، ص٦

(٣) نفسه، المقدمة، ص٦

(٤) د.محسن جاسم الموسوى، انفراط العقد المقدس، منعطفات الرواية بعد محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م ص١٩.

(٥) روجر آلان، الرواية العربية، ت حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، مصر سنة ١٩٩٧م، ص٢٦.

يرصد «روجر آلان» تحت هذا التصور، التغيير الدائم، ظهور الرومانسية في الرواية العربية ثم عقود الواقعية وصعود الصراعات السياسية في العالم العربي في الستينيات ثم التحول الاجتماعي إثر النفط وأثره على بنية العالم العربي، ثم العلاقة بين المدينة والريف.....إلخ، مؤكدا المقولة السابقة عن إنتاج النص الروائي العربي «كانت عملية اللحاق بالركب، والتوترات الناشئة عن الصراع بين البحث عن طرق جديدة في التعبير وبين الصلة مع الماضي، كانت هذه المواضيع تظهر باستمرار في مسار تطور الرواية العربية الحديثة»[1]، وربما كانت محاكاة النصوص التراثية والشكل الكلاسيكي العربي، المقامات، النوادر، الليالي، والعود إلى لغة المراجع القديمة شكلا من أشكال التمرد على الرواية الأوروبية وسطوتها، ففي حين يختار بعض الكتّاب محاكاة التيارات والتجارب الغربية، اختار آخرون النقيض ودأبوا في محاولة استنهاض الشكل الروائي من قوالب تراثية، ويستشهد روجرآلان بما كتب تعقيبا على ترجمة «مدن الملح» لعبد الرحمن منيف إلى اللغة الإنجليزية حيث كتب جون أبدايك في مجلة «النيويوركر» «لم يحقق عبد الرحمن منيف - فيما يبدو لي - درجة كافية من التأثّر بالغرب بحيث ينتج لنا عملا سرديا نشعر أنه يشبه إلى حد كبير ما نطلق عليه اسم الرواية»[2] وذلك لأن عبد الرحمن منيف أوغل في استخدام الرواي العالم ما يقارب صيغة الحكواتي في التراث العربي وتوقّفت الرواية عند رؤية السارد وحده.

المهم أن الرواية العربية وجدت بديلا من تجريب المستويات اللغوية والإرث الكلاسيكي للسرد العربي الذي في بعض الأحيان كان سطوا على النص القديم.. الليالي، المقامات، كتب التاريخ.. إلخ في نصوص تتكئ في تجربتها على استقراء هذا الموروث واستنهاضه، وأتصور أن ثمة نقلة ما قادت خطى هذا التجريب بعد أن صار أدب أمريكا اللاتينية مترجما بكثافة في العالم العربي، لقد قدم أدب أمريكا اللاتينية الحلول التي دأبت الرواية العربية في البحث عنها في متاهة التعلق بالآخر، أو محاكاة التراث، فقد قدم الأدب اللاتيني العالم الروائي المختلف في البناء الروائي الحداثي بل الأكثر جرأة على التحديث في خلق عالم أسطوري، سحري، واقعي، كان يعني مزج حيرة الرواية العربية بين جذورها الثقافية الموغلة في الأسطورية الشفاهية، وبين القدرة التعبيرية للواقعي، وبعد أن كانت التجارب السابقة تواجه حكما نقديا في «العودة إلى التراث السردي العربي وقد تمثّل هذا في الرجوع، في الاكتفاء بمسحة شكلية في الغالب، وبتذبذب مبرر في استثمار بعض مكونات ذلك التراث، وتقف اللغة والموضوع حاجزين

---

(١) نفسه ص ٢٦

(٢) نفسه، ص٢٨، وراجع جون ابدايك، مجلة نيويوركر عدد ١٧ من أكتوبر، سنة ١٩٨٨م.

أساسيين أو صعوبتين مركزيتين أمام محاولة تطويع المزدوج لكل من التراثي والراهن باتجاه هدف ما، يجعل الأداء الروائي بعيدا عن أن يكون صدودا عن حدة الحاضر أو جموده، بعيدا عن أن يكون عملية بعث للتراث السردي»[1] وقد كانت الرواية اللاتينية تقود إلى خصوصية عالم، و ثقافة، وواقع، مع قدرة على إثراء النص الروائي العالمي بغوايتها، ولم تكن الرواية اللاتينية فقط هي التي أحدثت انقلابا في سوق التلقّي العالمي، صارت هناك جيوب عرقية كثيرة كالهند والباكستان وإيران وأوروبا الشرقية والأفارقة الذين يكتبون بلغة أجنبية ويقودون سوق النشر والتوزيع، وأصبح أفق التلقي أرحب أمام خصوصية العالم الروائي الذي تقدمه هذه العوالم وانطلقت مقولات المحلية و العالمية..... إلخ.

هنا عاد «المكان» ليكتسب أبعاداً أكثر، فبعد أن طوعه باشلار في إطاره الفيزيقي المحض، وبعد أن صارت إحالته توليداً لمزيد من الدلالات «فوق - تحت»، «سجن - بيت» أي بتتبع دلالة المكان سيكولوجيا وثقافيا بشكل تجريدي، بوصفه إمكانية لفهم النص من جماليات خارج موضوعه، فهو مجال للاستعارة الشعرية ولتوليد الدلالات[2].

إننا لا ننكر الإمكانيات الجمالية في استثمار المكان بهذا الشكل، لكننا نحيل إلى تعليق غالب هلسا السابق، ونحتفل بالمكان بطريقة أكثر ارتباطا بمفهوم «العالم الروائي» وجذره المكاني، فدراسة المكان في هذا الإطار تنتمي إلى حقول معرفية أخرى كالجغرافيا والتاريخ البشرى، والبيئة، والايكولوجيا، والجيولوجيا، والدراسات الإنثربولوجية، والتاريخ البشرى، والفولكلور والإثنوجرافيا، بديلا عن دراسة المكان الفيزيقي وربطه بالتشكيل البصري والسينما والتشكيل، ومحاولة ترميزه وتجريده ليصبح فضاء جماليا محضا.

فنحن نرى صلاح صالح في دراسته للصحراء في الرواية العربية[3]، قدم الصحراء بمفهوماتها الجمالية، المكان يشكل مترادفات جمالية، فقر، غنى، امتلاء، خواء، ومحاولة ربط حركة النص وتطوره في رواية الصحراء كنتيجة لحركة الريح، والرؤية الضبابية في المشهد، يستلهم ظاهرة السراب، وتلون الصحراء الذي يعكس تلون الشخصيات ومحاولة الباحث تقديم ذلك عبر البحث، وهو مجرد إسقاط جمالي رومانسي، لا ننزع إليه، فلا يمكن القول بأن ثمة علاقة

---

(١) مبارك ربيع، المركزية الروائية، مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد الثالث، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٤٧.

(٢) راجع، يوري لوتمان، «مشكلة المكان الفني» ت، وتقديم سيزا قاسم، مجلة «ألف» العدد (٦) الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ربيع ١٩٨٦م.

(٣) انظر صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، دمشق، سنة ١٩٩٦م.